ولا يحملك اى لا تبال باقوالهم الزائفة مثل قولهم درست اقوالا واستحدثت هذه الكلمات ثم تنظمها قولا — لا تبال باقوالهم الزائفة
وتدعي انه كلام الله تعالى ولا تجعل هذه المقالات سببًا للفتور عن الدعوة وتبليغ الرسالة واتباع ما اوحى اليك
والمعاينه والامر بالاعراض هذا المعنى ليس بمنسوخ باية القتال وانما يكون منسوخًا به اذا حمل الاعراض عنهم على ما
يعم الكف عنهم وعدم التعرض بهم بالسوء ثم انهم لما اشركوا بمشية الله تعالى قال ولو شاء الله ما اشركوا اى لو
اردت توحيدهم لقدرت عليهم ولكنهم لما اختاروا الكفر واثروا تقليد اسلافهم واتباع شهواتهم واعرضوا
عن اتباع الدليل والبرهان شئت لهم ان يشركوا فاشركوا بمشيتى وقالت المعتزلة انه تعالى
لا يشاء من العبد الا ما هو الاصلح وهو الايمان والطاعة ولما دلت هذه الاية على انه تعالى ما شاء ايمان الكافر
قالوا معناها لم يشاء ايمانه الحاصل بالقهر والالجاء اليه لان الايمان على هذا الوجه يبطل التكليف وينافي
استحقاق الثواب حيث لم يكن على وجه الطاعة لله تعالى وامتثالا لامره وعدم مشيتهم ايمانهم على هذا
لا ينافي ان شاء ايمانهم طوعا واختيارا بل هو تعالى يشاء من كل مكلف ايمانه وطاعته طوعا لكونهما اصلح
وموجبين للثواب الجزيل والذكر الجميل ثم انه لما بين ان الامور منوطة بمشية الله تعالى ما شاء — الانام
الله كان وما لم يشاء لم يكن بين ان الحكمة في ارسال الرسل انما هي تبليغ الاحكام وبيان الحلال والحرام وارشاد
الى ما يصلحهم الى طرق السلام وتنجيهم من عذاب يوم القيامة لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ولا يكون لهم ان يقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وليس عليهم ان يراقبوا اعمال المكلفين وان يكرهوهم على الايمان والطاعة
فليختر كل امرء لنفسه ما شاء والله المجازي وكل واحد يحصد ما يزرعه **قوله** اى لا تذكروا الهتهم التي يعبدونها
اشارة الى ان معنى الايه ولا تسبوا الهة الذين وان السب بمعنى الطعن والتعييب وان يدعون معناه يدعونها
الهة ويعبدونها وسبب النزول يدل على ما ذكرنا **قوله** وفيه دليل وجه الاستدلال ان سب الاصنام
وطعنها من اصول الطاعات وقد نهى الله عنه لكونه مؤديا الى معصية عظيمة وهي سبه تعالى ولرسوله صلعم
وفتح باب السفاهة نعوذ بالله فعلم منه ان ما كان طاعة في نفسه اذا ادى الى منكر كان منكرا ومنهيا — ان كان طاعة في نفسه اذا ادى الى منكر كان منكرا ومنهيا
فان قيل الكفار كانوا مقرين بوجود الصانع والاله القديم ويدعون انهم انما يعبدون الاصنام طمعًا في شفاعتها عنه
عند الله تعالى فكيف يعقل اقدامهم على سبه تعالى والجواب انه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر ونفي الصانع
فذلك البعض لا يبالي ولا يتحاشى عن هذه السفاهة ويحتمل ان يكون المراد بسب الله تعالى سب رسوله صلعم
بان يكون الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسبون الاصنام ويطعنون فيها فكان ذلك سببا لطعن المشركين في الرسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجرى الله تعالى سب الرسول صلعم مجرى سبه تعالى كما اجرى مبايعته
مجرى مبايعة نفسه حيث قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واجرى ايضا ايذاءه صلعم
مجرى ايذاء نفسه حيث قال ان الذين يؤذون الله ورسوله وايضا المشركون لانكارهم النبوة
والرسالة كان من جهالهم من كان يعتقد ان شيطانا يحمله على ادعاء النبوة ويأمره بها فلو
سمع من احد تعييب الاصنام والطعن فيها يحمله ذلك الشيطان على سب من امره بانكار عبادة الاصنام
وتعييبها فرجع ذلك السب الى سب الله تعالى **قوله** وقرأ يعقوب عدوًا بضم العين والدال وتشديد الواو
وقراءة الجمهور عَدْوًا بفتح العين وسكون الدال وتخفيف الواو وعلى القرائتين هو منصوب اما على
المصدر لكونه نوعا من عامله لان السب من جنس العدو وهو التجاوز عن الحق الى الباطل او على
او على انه مفعول له اى لاجل العدو وبغير علم حال اى يسبونه غير عالمين وملتبسين بالجهل لانهم
لو قدروا الله حق قدره لما اقدموا عليه والكاف في قوله تعالى في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف اى زينا لكل امة سوء عملهم تزيينا مثل تزيين المشركين سب الله وعبادة الاصنام
قالت المعتزلة ظاهر الاية يدل على ان الله تعالى زين للكافرين الكفر وعلى القبح ولا شك ان تزيين القبيح
قبيح والله تعالى منزه عنه فاولوا الاية بوجوه ذكرها صاحب الكشاف واحتج اهل السنة
بهذه الاية على ان الله تعالى زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وللمطيع الطاعة
وقالوا الدليل العقلي يؤيد ما اشعر به ظاهر الاية وهو انه قد تقرر ان صدور الفعل عن العبد
يتوقف على حصول الداعي وان تلك الداعية لا بد ان تكون بتخليق الله تعالى والا يحتاج ذلك الداعي الى
اعتقاده او ظنه باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد ومصلحة راجحة واذا كانت تلك الداعية حصلت
بفعل الله تعالى امتنع ان يصدر عن العبد الفعل ولا قول ولا سكون وهو كذا الا اذا زين الله ذلك الفعل
في قلبه واعتقاده فثبت انه يستحيل من الكافر اختيار الكفر الا اذا زين الله تعالى ذلك الكفر في قلبه
فثبت ان ما يدل عليه ظاهر الاية هو الحق وبطل ما ذكره المعتزلة لان المصير الى التاويل
عند تعذر الكلام على ظاهره وقد ثبت ايضا انه لا عبرة بتحسين العقل وتقبيحه انما الحسن ما حسنه الشرع — الحسن والقبح الشرعي لا العقلي
والقبيح ما قبحه الشرع **قوله** جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال فالعامل اقسموا اى اقسموا جاهدين ايمانهم
جهدا اى مؤكدين ايمانهم مجتهدين في ايمانهم بان حلفوا بالله وكدوا ما قدروا عليه من الايمان واشدها **قيل**

Copyright © King Saud University